



الإبْنُ لَهُ الْمَجْدُ، هُوَ قُوَّةُ الْآبِ
وَالْقُوَّةُ لَا يُمْكِنُ فَصْلِهَا عَنِ الْأَقْنُومِ
دراسة موجزة

(١)

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٧

الابنُ قوةُ الله وحكمته

القوة ح سب مفردات اللغة اليونانية $\delta\upsilon\nu\alpha\mu\iota\varsigma$ ليست كلمة شاردة، بل حسب التعليم الرسولي: "المسيح قوة الله وحكمة الله" (١ كو ١ : ٢٤). ليست قوة الله قوة غامضة، بل هي شخص الرب الذي لم يتحول إلى قوة غامضة، بل ظلَّ هو شخص أو أقنوم الله الكلمة. وتعبير "قوة الله" هو تعبيرٌ يعود أصلاً إلى سفر الحكمة (٧ : ٢٤)؛ لأنه الكلمة أو الحكمة "بهاء مجد الآب"، وهو "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته" (عب ١ : ٣).

ومن الأدب المسيحي الباكر و صلنا عن هذا الموضوع نصُّ فريد هو حوار العلامة أوريجينوس مع هيراقليدس، والذي اكتُشِفَ ضمن برديات طره - مصر^(١).

أوريجينوس: الآب هو الله؟

هيراقليدس: تماماً.

أوريجينوس: هل الابنُ متمايزٌ عن الآب؟

هيراقليدس: كيف يمكن أن يكون الابن كائناً إذا كان هو ذاته الآب؟

(١) راجع النص الكامل لهذا الحوار في كتابنا: التمييز بين العقيدة والمهرطقة والرأي، جذور للترجمة والتوزيع والنشر، القاهرة، ٢٠١٦، ص ٣٩ وما بعدها. وعلى موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

أوريجينوس: إذا كان الابن متمايزاً عن الآب، أليس هو الله؟

هيراقليدس: نعم هو الله.

أوريجينوس: وأليس في وحدتهما هما إلهين؟

هيراقليدس: نعم.

أوريجينوس: هل نعترف بإلهين؟

هيراقليدس: نعم، ولكن القوة واحدة^(١).

تعبير "القوة الواحدة" يؤكد التمايز ويحفظ الوحدة. وقد شرح العلامة هذه النقطة الهامة في كتاب المبادئ (١: ٢-٢٥). في هذه المرحلة التاريخية بالذات، كان تعبير "القوة الواحدة" يعبر ليس فقط عن وحدانية الثالوث، بل عن حقيقة تمايز الابن عن الآب؛ لأنه "قوة الله" حسب (١ كو ١: ٢٤).

الجنون الأريوسي:

سبق أريوس، السفسطائي Asterius وهو ما يؤكد لنا أننا سيوس نفسه في الرد على الأريوسيين ١: ٢، ٥. وكلاهما أريوس وأستاذه يؤكداً: أنه "توجد حكمتان، الأولى خاصة بالله وهي كائنة فيه، والأخرى هي الابن الذي جاء من هذه الحكمة "الخاصة بالله"، وجاء بالشركة في حكمة الله، ولذلك دُعي الحكمة والكلمة، فهو الحكمة الذي جاء إلى الوجود بوا سطة الحكمة بوا سطة إرادة الله..". (الرد على الأريوسيين ١: ٢-٥). ويلاحظ أن كل ألقاب المسيح - لدى أريوس وأستاذه - مثل "الكلمة" و"الحكمة" و"القوة"، ليست إلا مصطلحات تعبر عن شخص مخلوق اشترك

(١) الحوار مع هيراقليدس ٢: ١٥-١٧ - نشر النص في Sources Chretiennes vol 67 p56-59

في ألوهية الآب. وقد لاحظ بعض علماء التاريخ أن هذا التعليم يعود أصلاً إلى الأفلاطونية التي فصلت تماماً بين ما هو إلهي وما هو إنساني^(١).

إذن، فالحكمة الخاصة بالله -ح سب جنون أريوس- هي في الله وحده، ولا يمكن أن توجد في آخر. وإذا كان هناك في الأ سفار من دُعِي "حكمة الله أو قوة الله"، فهذا نوعٌ من شركة هذا المخلوق في الله؛ لأن صفات الله لا يمكن أن تُعطى أو تُوهب لمخلوق.

التعليم الرسولي في كتابات القديس أثناسيوس:

هكذا يشرح أثناسيوس الإيمان:

"الله له ابنٌ هو الكلمة، والحكمة والقوة، أي صورة صورته وشعاعه، وهو ما يعني أن الابن كائنٌ دائماً، وأنه من الآب، وأنه مثل الآب، وهو المولود الأزلي منه، من جوهره الآب" (الرد على الأريوسيين ٢: ١٨: ٤٣).

نجد الأ ساس الكتابي لهذا التعليم في (١ كو ١: ٢٤): "وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُوداً وَيُونَانِيِّينَ فَبِأَلَمَ سِيحِ قُوَّةِ اللَّهِ وَحِكْمَةِ اللَّهِ" وقد سبق أثناسيوس، فأكد -قبل البدعة الأريوسية- أزلية قوة الله الآب وحكمته في الرسالة إلى الوثنيين:

"وإذ هو الكلمة الصالح للآب الصالح، فقد أبدع نظاماً لكل الأشياء ... وإذ هو قوة الله وحكمة الله، فإنه يجعل السماء تدور" (ف ٤٠: ٥).

كما أعاد ذات التعليم بأن الابن هو قوة الآب في الفصل: ٤٦: ٨:

"هو المولود الصالح من الآب الصالح"

(١) راجع على سبيل المثال Ephrem Boularand هرطقة أريوس والإيمان النيقاوي، ١٩٧٢، المجلد الثاني ص ٧٥.

وهو الابن الحقيقي

هو قوة الآب وحكمته وكلمته،

ليس بالشركة.

.....

هو الحكمة ذاتها

والكلمة ذاته

وذات قوة الآب

النور ذاته

والحق ذاته

والبر ذاته والفضيلة ذاتها، وهو يقيناً رسمه وبهاؤه وصورته. وبالإجمال هو قوة الآب الفائقة الكمال وهو وحده الابن صورة الآب غير المتغيرة" (رسالة إلى الوثنيين فصل ٤٦ : ٨).

النقطة الحاسمة هنا ليست في تكرار الألقاب، بل في تأكيد أن الابن هو "القوة الذاتية ἰδιος لله الآب"، فهو ليس مجرد قوة، أي صفة، بل هو الأفنوم (المرجع السابق، الرسالة إلى الوثنيين: ف ٤٦).

وفي الدفاع عن تعبير "الواحد مع الآب في الجوهر" في مقالة نادرة عُرفَت باسم: "عن المجامع - de synodis " في الفقرات ٥٣-٥٤ يشرح أناسيوس العظيم حقاً، ليس فقط المصطلحات وحدها، بل أيضاً استعمال هذه المصطلحات:

"علينا أن نفحص معنى من ذات جوهر (الآب)؛ لكي نعرف هل يمكن أن نستعمل هذه الكلمة، وهل هي مصطلحٌ دقيق، وهل يمكن أن تُستعمل في الحديث عن الابن؟ نحن جميعاً نعرف -ولا جدال حول هذه النقطة- أن استخدام التعبير "مثل - Like" لا يجب أن يُنسب إلى الجوهر، بل إلى هو خاص بالعادات والصفات، أما في الخطاب الخاص بالجوهر، فنحن لا نتكلم عن المماثلة Likeness بل عن الكينونة Identity فالإنسان -على سبيل المثال- يشبه Like إنساناً آخر مثله، ولا نقول إنه يشبهه في الجوهر، بل حسب العادة والصفات؛ لأن جميع البشر من جوهر واحد وطبيعة واحدة. وأيضاً، الإنسان لا يشبه الكلب؛ لأن الإنسان والكلب كلاهما من طبيعة مختلفة.. " (فقرة ٥٣).

ويتابع المعلم الشرح:

"وإذا تحدثنا عن جوهرٍ مثل جوهر، فإننا نقصد "الشركة"؛ لأن المماثلة likeness هي خاصة أو صفة تُنسب للجوهر، وهو ما يناسب البشر؛ لأننا نحن البشر بالشركة نصبح مثل الله، ولذلك قيل: "وعندما يُظهر سنكون مثله" (١ يوحنا ٣: ٢)، أي أننا مثله like ليس في الجوهر، بل في التبني الذي نشترك فيه" (المرجع السابق)^(١).

لكن مشكلة الأريوسية تبدو ظاهرة لنا من اللعب بالألفاظ، وهو ما يجعل القديس أثناسيوس يؤكّد:

"إننا عندما نتحدث عن الابن أنه ابنٌ بالشركة في الآب، فإننا إذا قلنا إنه مثل الآب في الجوهر، فإننا ننكر أنه الحق، أو أنه النور، أي أنه ليس الله بالطبيعة"

(١) يا ليت هذه الكلمات تكون كافية لصرف غضب وكرهية الذين يهاجمون الشركة في حياة الثالوث.

(المرجع السابق).

الفصل الدقيق في هذا الأمر هو "الشركة"، وهو ما يجعل معلمنا يتابع شرحه:

"إن الكائنات التي تنال شركة هي "مثل"، ولكنها ليست في الجوهر، بل
بالمشاهدة بالذي يشتركون فيه .." (المرجع السابق).

وطبقاً لما أشار إليه المعلم، الابن ليس مثل الآب، بل هو له ذات الطبيعة، وهو
من ذات الجوهر.

وفي الفقرة التالية (٥٤)، يدافع عن الواحد في الجوهر:

"لهذا السبب كان مجمع نيقية على صواب عندما كتب أن الابن مولودٌ من
ذات جوهر الآب، وأنه واحدٌ مع الآب في الجوهر".

وما هو معنى "الواحد مع الآب في الجوهر"؟ يشرح أثناسيوس العظيم حقاً:

"إن الابن ليس من جوهر آخر غير جوهر الآب، وليس واحداً من المخلوقات
الذي قُدِّمَ إلى الآب لينال التبني كابن .. بل نؤمن أنه مولودٌ فعلاً من ذات
جوهر الآب".

التمييز الدقيق لجوهر الألوهة الواحد غير المنقسم:

في المقالة الثمانية (فقرة ٣٤) لا يتردد أثناسيوس في أن يرد على جنون
الأريوسية، فيقول:

"إن الكائنات التي خُلِّقت والتي لها أجساد، لها مواليد ولكنها لا تأخذ أجزاء
من الجواهر التي ولدت منها. فإذا كان هذا هو الواقع والحق، وأن الانقسام
في الجوهر لا يحدث على مستوى المخلوقات -يسأل أثناسيوس: "كيف لا

يكونوا قد أُصيبوا بالجنون وهم يتصورون وجود تجزئة، بل وألم في الله الحقيقي الذي ليس له جسد يجعله ينقسم".

فالله لا ينقسم بولادة الابن.

وتأكيداً لشركتنا نحن في الحياة الإلهية، يعود اثناسيوس ويؤكد في الفقرة (٥١) من مقالة المجامع De Synodis فيقول:

"الابنُ ليس ابناً بالشركة - كما ذكرنا من قبل - لأنه بينما كل الكائنات المخلوقة تشترك حسب نعمة الله، إلا أن الابن هو كلمة الآب، وهو الكلمة الذي فيه تشترك كل المخلوقات، ولذلك هو قوة الآب الذي يؤلّه وينير، والذي فيه الكل يتألّه، بل ويقوم. ولذلك، فالابن ليس غريباً عن جوهر الآب، بل واحداً معه في الجوهر، لأننا بالشركة فيه؛ (الابن) نشترك في الآب، لأن الكلمة هو كلمة الآب. وتبعاً لذلك، لو كان الابن ابناً بالشركة وليس من ألوهة جوهر الآب، لما استطاع أن يؤلّهنا نحن لأنه سيكون هو في حاجة إلى التألّه".

ويؤكد ذلك أيضاً في الرد على الأريوسيين (مقالة ٢: ٧٠) حيث يقول:

"لَتَعَلَّرَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَأَلَّهُ لَوْ أَنَّهُ اتَّحَدَ بِمَخْلُوقٍ، لَوْ أَنَّ الْإِبْنَ لَمْ يَكُنْ إِلَهًا حَقِيقًا، وَلَعَجَزَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَقِفَ فِي حَضْرَةِ الْآبِ، لَوْ لَمْ يَكُنْ الَّذِي لِبَسِ الْجَسَدِ هُوَ بِالطَّبِيعَةِ كَلِمَتَهُ الْحَقِيقِيَّ".

د. جورج حبيب بياوي